الفصل الحادي عشر

رخصة مشروطة

السادس من آذار عام 2001م

يظهـر ليو في صورته المطبوعة علـى أول بطاقة تعريف يُصدِرها له نادي برشلونـة بوجـه ممتلئ وغرّة، فضلًا عـن الابتسامة التي سرعـان ما ستختفي؛ لأنّ الأمـور لـن تجري على أفضل حـال بالنسبة إليه خـلال الأشهر الأولى التي سيقضيهـا على الأراضي الكاتالونية، بعدما يمنحـه الاتحاد الكاتالوني رخصة مشروطـة لمزاولة كـرة القدم في السادس من شهـر آذار؛ أي بعد أسابيع عدّة علـى وصوله، ليصبح في اليوم اللاحق قـادرًا على الظهور أول مرّة على أرضية ملعـب أمبوستـا، مرتديًـا القميص رقـم (9) للبلاوغرانـا (اللونـان: الأزرق والعنابي في اللغة الكاتالونية)؛ حتى إنّه قد يتمكّن من تسجيل هدف. لكنّ الأمر المُشـكِل هـو أنّه أجنبي؛ ما يعنـي منعه من اللعب في البطـولات الوطنية، ومن ثَـمّ فلن يحقّ له مشاركة فريـق الأطفال (أ) في اللعب كما هو مُخطّط له. وهذا يحتم عليه الانضمام إلى فريق الأطفال (ب) الذي ينافس في البطولة المحلية لإقليـم كاتالونيا. وقد زاد الأمر تعقيدًا أنّ الفرق في شهر آذار كانت قد شُكِّلت، والمنافسـات قد بدأت. لذا، كان من الصعـب – والظلم– سحب أحد الأطفال الذين بدؤوا الموسم مع الفريق لإفساح المجال لليو، على الرغم من موهبة هذا الأخير.

obeikandl.com

هنـاك أمـر مُشكِل آخر يتمثَّل فـي أنّ نادي نيولز لا ينـوي إتمام إجراءات الانتقال اللازمـة حتى يتسنّى لنادي برشلونة تسجيل ليو لدى الاتحاد الإسباني لكرة القدم.

هـذا ليس كلّ شيء؛ فالأسوأ لم يأتِ بعد. ففي الحادي والعشرين من شهر نيسـان، قام مدافع من نادي تورتوسا بالتصدي لـه بصورة عنيفة، أفضت إلى كسر في ساقه اليسرى.

كانـت تلـك أول إصابة في مسيرتـه الكروية. وهو يحتـاج الآن إلى تقويم، فجبيـرة، ثـمّ إعادة تأهيل؛ ما يعنـي أنّه لن يتمكّن من اللعـب قبل السادس من شهر حزيران.

وقـد تكـرّر الأمـر نفسـه بعـد أسبـوع؛ إذ تعرّضـ لإصابـة أُخـرى، أفضـت إلـى حـدوث تمزُّق فـي أربطـة كاحلـه الأيسـر، لكـنّ المُتسبِّـب هذه المـرّة كان ليـو نفسـه؛ إذ تزحلقـت قدمـه فـي أثناء نزولـه الـدرج. ولحسن الحـظ، فقـد كانـت إصابتـه أقـل خطـورة مـن سابقتهـا، وسـوف يغيـب - على إثرها- عن الملاعب ثلاثة أسابيع.

أمّا الخبر الجيد الوحيـد المتعلّق بالصحة فمردّه الفحوص وصور الأشعة التي خضع لها على يد اختصاصيي الغدد الصماء وأطباء النادي؛ إذ قرَّر هؤلاء، بعـد استيفائهم دراسـة سجلّه الطبي ومشـكلات النمو لديـه، أن يُقلِّلوا جرعة العـلاج بهرمون النمو تدريجيًّا. ويمكن لبرنامـج تدريب خاص وحمية معيّنة أن يساعـدا الصغير على النمو بصـورة طبيعية. ومع هذا، فقد يُضطر - في نهاية المطاف- إلى تحمُّل الحقن سنوات أُخرى قادمة.

وفـي حال استثنينا هذا الأمر، فإنّ بدايـة مشواره مع برشلونة كانت سيئة بامتياز، لدرجة أنّه عند نهاية الموسم، وفي خضم تلك الأحداث كلّها، لم يلعب

إلّا فـي مباراتين رسميتين فقط، ودورة ودية (إضافة إلى المباريات التدريبية). أضـف إلى ذلك كَـمّ المشكلات التي تعيَّـن على ليو وعائلتـه التعامل معها؛ ما أفضـى إلى تفاقُم الأمور وازديادها تعقيدًا. فبعـد انتقال عائلة ميسي إلى شقة علـى جـادة كارلوس الثالث - بعـد الإقامة في فندق رالي- بـدا الوضع على ما يـرام. إلّا أنّ التكيُّف مع بيئة المدرسة الجديدة وبرامج التدريس فيها كان أمرًا بالغ التعقيد.

التحـق ليو بمدرسة جون الثانـي والعشرين الحكومية الواقعة في حيّ ليس كورتـس قرب ملعب نو كامب. لايزال ذلك الفتى الذي لا يحفل بالدراسة؛ إذ لم يكمـل المستوى الرابع من التعليم الثانـوي الإجباري؛ نظرًا إلى زيادة التزاماته الكروية بصورة كبيرة، إضافة إلى أمور أُخرى. لكنّه مع ذلك، لم يشكِّل مصدر إزعـاج لمدرِّسيه؛ فقد كان طالبًـا جادًّا مهذَّبًا، يواظِب علـى التزام الهدوء في أثناء جلوسه على مقعده عند الزاوية.

وإذا كان ليـو قد تمكَّـن- بصعوبة- من التكيُّف مع مثـل هذا الوضع، لكنّ ذلك لا ينطبق على أصغر أفراد العائلة، ماريا سول؛ إذ لم تتمكَّن من التأقلم مع نمط الحياة الجديد.

قامـت العائلة بدراسة خياراتها، ثمّ اتخذت بعض القرارات لدى مغادرتها إسبانيـا فـي العطلة الصيفيـة، واجتماعها مـرّة أُخرى في روزاريـو. فقد قرَّر سيليا وخورخـي (اللذان اضطرا إلى العودة باكـرًا للأرجنتين من أجل العناية بشقيقـة سيليا بعد خضوعها لعملية جراحيـة) أن يبقى شقيقا ليو وشقيقته في الأرجنتيـن. فـي حين سألا ليو عمّا يودّ القيام به، ومـا إذا كان يريد العودة إلى برشلونة، أو الحياة في روزاريو.

لا تظهـر علـى مُحَيّا الصبي مشاعـر الحيرة أو التردّد؛ فمـن الواضح أنّه يريـد تحقيـق النجاح في برشلونة، ولا يودّ أن يقلق عليـه أحد. لذا، تجد العائلة نفسهـا مضطرة إلـى الانفصال عن بعضهـا بعضًا بعد خمسـة أشهر فقط من وصولهـا إلـى إسبانيـا؛ إذ سيقيـم بعضٌ منها على طـرف المحيـط (سيليا، وماتياس، وماريا سول، ورودريغو). في حين يستقر بعضٌ آخر (خورخي، وليو) على الطرف الآخر.

لقـد أصبـح الوضع أصعب مـن المتوقّع بالنسبة إلى ليو الـذي سيعود إلى برشلونة في العشرين من شهر آب، والذي بلغ الآن الرابعة عشرة من العمر.

انتهى فصل الصيف، وعادت المدرسة والتدريبات من جديد. ولأنّ موضوع الانتقـال المشروط بموافقة الاتحاد الأرجنتيني لكرة القدم لم يُحسَم بعدُ، فإنّ ليـو لـن يتمكّن من اللعـب إلّا في دوري المباريـات الودية. ما بيـده حيلة إلّا أن يبذل قصارى جهده في التدريبات، ويستثمر طاقته ورغبته في تحقيق الفوز في المباريات الودية التي يخوضهـا. كان ذلك أسلوبًا لاحظه عليه مدرِّبوه وزملاؤه من أعضاء الفريق (ب).

ولحسن الطالـع، فإنّ موسم الانتقالات بين الفرق يبدأ نهاية عام 2001م، ويستمـر حتـى مطلع عـام 2002م. وفي هذه الأثنـاء، يوقِّع خورخي عقـدًا ثانيًا بالنيابـة عن ابنه في كانون الأول، وهـو عقد بديل عن ذلك الذي وقَّعه في أيار، وقـد تضمّن تصويبًا لبعض المسائل، ولا سيّما الماديـة منها؛ نظرًا إلى الحالة الماديـة المتردية - نوعًا ما- التي كانت تمرّ بهـا العائلة بسبب تأخّر الدفعات، والمشكلات البيروقراطية.

يُذكَر أنّ ليو سيوقِّع ستة عقود يلتزم بها باللعب مع نادي برشلونة على مدار السنـوات القليلة المقبلة، ويُعَدّ ذلك دليلًا على التقدّم اللافت الذي أحرزه هذا

obeikandi.com

اللاعب، فضلًا عـن المستجدات التي طرأت على أولويات النادي، والمشكلات الداخليـة التـي يعانيهـا. ومن ذلـك، شعـور المديـر بالانزعاج لعـدم إعلامه بالمفاوضات الجارية، ثمّ رميه العقد في سلّة المهملات، وكذا عدم تقبُّل بعض إداريي النادي لفكرة إنفاق مبالغ طائلة في سبيل التعاقد مع صبي صغير.

في نهاية المطاف، وصلت وثائق الفيفا في شهر شباط، وذلك أتاح للاتحاد الإسبانـي لكرة القـدم المضي قُدُمًا فـي التصديق على عقد ليـو. ففي السابع عشـر من شهر شباط عـام 2002م، وبعد سنة تقريبًا من وصولـه إلى برشلونة أول مرّة، يُسمَح لليو بالمشاركة في البطولة؛ إذ لعب أمام فريق أسبلوغويس دي يوبريغات على ملعب كان فيد اليت. ومع أنّه دخل الملعب في الشوط الثاني فقط، لكنه نجح في تسجيل ثلاثة أهداف لتصبح النتيجة النهائية (1-14). بعد ذلك بأقل من شهر، وفي التاسع والعشرين من شهر آذار تحديدًا، نال ليو أول لقب له مع فريق البارسا بعد فوزه على فريق إل برات (0-6). وبذا، تكون الأيام السيئة قـد ولَّت، ويبدأ زمن الانتصارات المتوالية؛ كالفـوز بدورة تايجن في سويسرا، والأهـم من ذلك، الفوز بكأس مايستريللي في مدينة بيزا بإيطاليا، التي أقيمت فيها المباريات في المدة الممتدة بين السابع والعشرين من نيسان والسابع من أيـار. فقد تغلَّب الفريق (ب) على معظم الفرق المشاركة، مثل: الإنتر، وكييفو، وبريشيـا؛ وتعادل مع يوفنتوس، وتمكّن من هزيمـة بارما في النهائي، ليتوَّج ليو بعدها بأفضل لاعب في البطولة، ويصبح فجأة لاعبًا عظيم الشأن.

يقول سيسك فابريغاس قائد فريق آرسنال الإنجليزي (انتقل إلى برشلونة في موسـم 2011م-2012م) الذي كان زميلًا لليو حينئـذٍ: «كنّا نعتقد أنّه أبكم، ثمّ اكتشفنا أنّه ليس كذلك، وأنّه يستطيع الكلام؛ وذلك بفضل البلاي ستيشن، وتلك الرحلة إلى إيطاليا.

وحتى تلك اللحظة، كان فكتور فاسكيز دائم الملاحظة لميسي، اللاعب في صفوف الفريق (ب)، الذي يدخل غرف تبديل الملابس، ويجلس في إحدى الزوايا ليبدِّل ثيابه، ثمّ يغادر من دون أن ينبس ببنت شفة. لقد تمكَّن هذا الفتى من كسب ثقة مَن حوله عندما كنّا في إيطاليا، ولا سيّما فكتور فاسكيز الذي كان يلقبّه بـِ «القزم».

أخذ ليو يتحدث مع فكتور بلهجة اللونفاردو؛ أي العامية الأرجنتينية، وكان من المستحيل فهمه إن فعل. ويُقِرّ المدرِّب تيتو فيلانوفا بأنّ كأس مايستريللي مثَّل فرصة لميسي مكَّنته من الاختلاط أكثر بزملائه في الفريق، وقضاء الوقت معًا، والتخلّص من حالة الخجل التي كانت تعتريه. يقول فيلانوفا: «فهو لم يكن خجولًا قطّ على أرض الملعب. وقد بدا صغير الحجم، مثل مارادونا في أثناء مقارعته اللاعبين».

لم يحظَ ميسي بمديح مدرِّبه فحسب، بل نال احترام أقرانه وتعاطفهم أيضًا. بعد تجاوز المرحلة العصيبة التي مرّ بها ميسي أول الأمر، ينتهي موسم 2001م–2002م على نحوٍ طيب؛ سواء في الوطن، أو في الغربة بعيدًا عنه. فقد اختُتِم هذا الموسم بالفوز على فريقي ريال مدريد وإسبانيول، في دورتي فياريال وسان غابرييل.

انضم ليو إلى الفريق (أ) في بداية موسم 2002م–2003م، وقد شارك في مباريات الدوري كلّها (30 مباراة)، فكان اللاعب الوحيد الذي حظي بذلك الشرف، واستطاع إحراز (36) هدفًا، متقدِّمًا بذلك على ما أحرزه المهاجم فكتور بخمسة أهداف؛ منها ثلاثة هاتريك (ثلاثة أهداف)، وواحد سوبر هاتريك (أربعة أهداف)، فضلًا عن تحقيق لقبين مهمّين (لا ليغا دي ديفيجن دي أونور، وهدّاف كأس كاتالونيا)، إضافة إلى ألقاب أُخرى، مثل: كأس لاديزلاو كوبالا التذكاري، والدورات الصيفية الثلاثية.

obeikandl.com

تساعد مثل هذه الحقائق والأرقام على تقديم إيجاز وتقييم للحملة التي بدأها ميسي عندما كان لايزال في الخامسة عشرة من عمره. كان طوله حينها 1,62 متر، ووزنه 55 كيلوجرامًا. ومع أنّه كان أقصر لاعب في الفريق (أطولهم كان جيرارد بيكيه؛ 1,91 متر)، لكنه لم يكن أصغرهم سنًّا (سيبلغ رامون ماسو فالاماخو الخامسة عشرة في شهر تشرين الأول القادم). وعلى الرغم من ذلك كلّه، مثَّل ميسي أحد الأركان الرئيسة لذلك الفريق الموهوب، بقيادة أليكس غارسيا. وفي المقابل، تخلَّف هذا اللاعب عن المشاركة في مناسبة واحدة، هي بطولة كأس إسبانيا؛ إذ لم يتمكَّن هو ولا فرانك سونغو (نجل جاك؛ الحارس الكاميروني الذي لعب سابقًا لناديي ميتز الفرنسي، وديبورتيفو لا كورونيا الإسباني) من المشاركة (مع أنّه شارك اللاعبين الآخرين فرحة النصر)؛ لأنّ القوانين تنصّ على أنّ اللاعبين المولودين في إسبانيا، أو أولئك الذين يحملون الجنسية الإسبانية، هم فقط الذين يحقّ لهم المشاركة في تلك البطولة تحديدًا. وهي قوانين أفضت إلى كثير من المشكلات والأزمات في السنوات المقبلة.

obeikandl.com